AL ISLAMI 25/1/2013 1/24/13 10:29 PM Page 2

الطور الثالث من أدوار تطور الفقه الإسلامي

بقلم: أ.د إبراهيم أبو محمد *

يبدأ هذا الدور من نهاية عصر الخلفاء الراشدين سنة ٤١ هجرية، إلى أوائل القرن الثاني للهجرة، قبيل سقوط الدولة الأموية، وقد سار الفقه في هذا الدور على نهج الصحابة لأن العهد قريب فكانوا يرجعون إلى القرآن والسنة ثم إلى الاجتهاد بالرأي بأنواعه ناظرين إلى علل الأحكام ومراعاة المصلحة ودرء المفسدة.

وفي هذا الدور تفرق الفقهاء في الأمصار فلم يعد الاجتهاد الجماعي ممكنا كما كان في العصر السابق، وشاع التحديث بالسنة وازداد وظهرت فرق كالخوارج وغيرهم واتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثرة النوازل أدت إلى كثرة المسائل والاختلاف فيها، وكان من الفقهاء المتهيب من الرأي والجريء فيه إلا أن ظهور هاتين النزعتين في هذا الدور برز على نحو أشد وأقوى مما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين مما أدى إلى ظهور مدرستين:

* مدرسة أهل الرأي
* مدرسة أهل الحديث

وأهم ما يتميز به التطور الفقهي في هذا العصر أمور ثلاثة:

١- اتساع دائرة الفقه وكثرة الخلاف في مسائله:

وذلك بازدياد الحوادث والوقائع وخصوصا بعد اتساع رقعة الدولة واختلاف العادات والتقاليد والأحوال الاجتماعية والاقتصادية ونمط العيش وأسلوب المعاملات ودرجة التحضر مما كان سببا في كثرة الحوادث والوقائع وكل واقعة لا بد لها من حكم إما بنص أو استنباط وبالتالي كثرت المسائل وتوسعت دوائر الفقه.

أما الاختلاف في مسائله فيرجع إلى عدة عوامل أهمها:

أ- انتشار الفقهاء من الصحابة في الأمصار وإقبال الناس عليهم، وهؤلاء الفقهاء لم يكونوا سواء في الفقه وحفظ السنة، ومقدار الفهم للكتاب والسنة، الأمر الذي يؤدي إلى الخلاف.

ب- أن الاجتهاد بالشورى واجتماع الناس على رأي واحد وتقريب وجهات النظر لم يكن ممكنا لتفرق الفقهاء في الأماكن والبلدان وتعذر المراجعة والمذاكرة والاتصال، يضاف إلى ذلك ظهور بعض الفرق كالخوارج وغيرهم، وعدم اطمئنان كل فرقة إلا إلى ما لديها.

ت- اختلاف البلاد التي نزل فيها الفقهاء في العادات والتقاليد ونظم المعاملات وغير ذلك مما يؤثر في اجتهاد الفقهاء، لأن الفقيه يراعي أحوال الناس وظروف معاشهم وحياتهم ما دامت غير مخالفة للشرع.

ث- أن أهل كل بلد تلقوا العلم عن فقهائهم ووثقوا بأقوالهم لمعرفتهم بهم واطمئنانهم إلى صدق روايتهم، فلم يكن من السهل عليهم أن يتحولوا عنهم، كما لم يحسوا بالحاجة الملحة إلى معرفة فقه غيرهم في بلدان أخرى، وكذا كل قطر يلتزم بفتاوى وأقضية فقهائه، فأهل المدينة أكثر ما يتبعون فتاوى عبدالله بن عمر وابن عباس وتلامذته كمجاهد وابن جبير وعطاء بن أبي رباح وطاووس، أما أهل الكوفة فقد اعتمدوا فتاوى عبدالله بن مسعود ومن تلقى الفقه عنه من التابعين كعلقمة النخعي والأسود بن يزيد وإبراهيم النخعي، أما أهل البصرة فقد اعتمدوا فتاوى أبي موسى الأشعري وأنس بن مالك ومحمد بن سيرين، وأما أهل الشام فقد اعتمدوا فتاوى معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت.

١- شيوع رواية الحديث وأثره في الفقه وغيره.

كان الحديث في عصر الصحابة قليلا أما في هذا الدور فقد شاعت رواية الحديث وكثرت وسبب ذلك تفرق الفقهاء وتجدد الحوادث وضرورة البحث عن أحكام لها فكان ذلك داعيا إلى السؤال عن السنة وقيام الحافظين لها بالحديث واستنباط الأحكام منها وبذلك شاعت رواية الحديث وكان من أثر هذا الشيوع ما يأتي:

أ. اتساع الأحكام وكثرة الاستنباط من السنة.

ب. كثرة وضع الحديث من قبل المفسدين المنطوية نفوسهم على بغض الإسلام وكراهية أهله والكيد لهم فلفقوا الأحاديث ونسبوها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأشاعوها بين المسلمين لإفسادهم وإفساد دينهم، وشارك في وضع الحديث بعض الجهلة من المتعصبين لآرائهم من أصحاب الفرق، وبعض الجهلة الآخرين من أصحاب النوايا الحسنة الذين أرادوا بزعمهم الخير للناس فوضعوا في باب الفضائل والترغيب والترهيب،

وكان لوضع الحديث آثار أهمها:

* عرقلة سير التطور الفقهي:

ترتب على الوضع عرقلة سير التطور الفقهي وتعسير طريقة عمل الفقهاء وإبطائهم في عملهم، فبعد أن كان الفقيه يسمع الحديث مطمئنا واثقا بصحته ينصرف إلى النظر فيه والاستنباط منه، صارت مهمته بعد كثرة الوضع شاقة إذ بدأ يفحص الحديث سندا ومتنا للتأكد من صحته وسلامة رواته قبل أن ينظر فيه ويستنبط منه، كما أن شيوع الوضع أدى بفقهاء العراق إلى التشدد في قبول الرواية والتقليل من قبول ما يسمعون، وهذا أدى بدوره إلى الاعتماد على الرأي أكثر من غيرهم.

* نشوء علم الجرح والتعديل:

«رب ضارة نافعة كما يقولون» فلقد أراد المفسدون المنطوية نفوسهم على بغض الإسلام وكراهية أهله أن يكيدوا لدين الله، وأن يهدموه من داخله غير أن هذا العبث البغيض استفز نفر من أهل العلم فقامت قلة من العلماء بالتصدي لهؤلاء والكشف عنهم وإظهار كذبهم واحدا واحدا، وهكذا بدأ يتكون علم جديد ليس له نظير عند غير المسلمين وهو ما يسمى بعلم الرجال أو علم الجرح والتعديل، وهو علم دقيق،عظيم القدر، جليل الفائدة، يهدف إلى خدمة السنة والكشف عن أحوال رواتها وتمييز الصادق من الكاذب والضابط من الواهم، والموثوق بروايته من المطعون فيها، وقد بدأ الكلام في هذا العلم في بداية هذا العصر ثم صار علما مستقلا قائما بذاته له قواعده وأصوله ورجاله.

١- ظهور مدرسة أهل الحديث ومدرسة أهل الرأي.

* المفتي العام لقارة أستراليا

الذين قالوا وسجل الحق في القرآن ما قالوا (١٠)

(سورة البقرة)

بقلم / أ.د. أمين عبداللطيف المليجي

مازلنا في رحاب سورة البقرة نرصد قول الذين قالوا وسجل الحق في القرآن ما قالوا، حتى نأخذ العبرة والعظة من قولهم، وندرك الحكمة من تسجيل الحق لأقوالهم، فكما قلنا سابقا إن ذلك التسجيل من الله هو حجة على من قالوا، وقلنا انه دليل على تقدم البشرية، ودليل على أن الله لا يظلم أحدا، وأيضا دليل على أن الله لن يحاسب أحدا من دون دليل مادي يراه الانسان بعينه ويسمعه بأذنه، والآيات التاليات من سورة (البقرة) تعطينا صورة أخرى سجلها الحق لليهود وغيرهم، توضح مدى الظلم الذي وصلوا اليه، ومدى افترائهم على الله ومدى تكبرهم على الناس، وتنطبق أيضا على كل من يفتري على الله ويتكبر من الناس حيث يقول الحق «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(٨٠).

فإذا نظرنا إلى الآية الأولى نجد هذا الافتراء على الله، فهم ينسبون إلى الله ما لا يقوله، وقد رجعت إلى ما قاله المفسرون حول هذه الآية الكريمة، فقد جاء في الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبي انه توجد خمس مسائل حول هذه الآية، المسألة الأولى تتعلق بالويل، وقد ورد حوله كلام كثير، فهو اما واد في جهنم، أو كما قال ابن عباس، الويل المشقة من العذاب، والمسألة الثانية تتعلق بالكتابة، في قوله تعالى: للذين يكتبون الكتاب. وأول من كتب بالقلم وخط به إدريس عليه السلام، وجاء ذلك في حديث أبي ذر، أخرجه الآجري وغيره. وقد قيل: إن آدم عليه السلام أعطى الخط فصار وراثة في ولده.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: «بأيديهم» تأكيد، فإنه قد علم أن الكتب لا يكون إلا باليد، فهو مثل قوله: ولا طائر يطير بجناحيه، وقوله: يقولون بأفواههم. وقيل: فائدة بأيديهم بيان لجرمهم وإثبات لمجاهرتهم، فإن من تولى الفعل أشد مواقعة ممن لم يتوله وإن كان رأيا له وقال ابن السراج: بأيديهم كناية عن أنهم من تلقائهم من دون أن ينزل عليهم، وإن لم تكن حقيقة في كتب أيديهم.

المسألة الرابعة: في هذه الآية والتي قبلها التحذير من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع، فكل من بدل وغير أو ابتدع في دين الله ما ليس منه ولا يجوز فيه فهو داخل تحت هذا الوعيد الشديد، والعذاب الأليم، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته لما قد علم ما يكون في آخر الزمان فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم في الدين خلاف كتاب الله أو سنته أو سنة أصحابه فيضلوا به الناس، وقد وقع ما حذره وشاع، وكثر وذاع، فإنا لله وإنا إليه راجعون، أعلق هنا على ما قاله الإمام القرطبي منذ أكثر من سبعة قرون، حيث سجل لنا افتراق الأمة في ذلك العصر البعيد، فماذا عساه يقول لو كان بيننا اليوم؟

المسألة الخامسة: ليشتروا به ثمنا قليلا وصف الله تعالى ما يأخذونه بالقلة، إما لفنائه وعدم ثباته، وإما لكونه حراما، لأن الحرام لا بركة فيه ولا يربو عند الله. قال ابن إسحاق والكلبي: كانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم ربعة أسمر، فجعلوه آدم سبطا طويلا، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي يبعث في آخر الزمان ليس يشبهه نعت هذا، وكانت للأحبار والعلماء رياسة ومكاسب فخافوا إن بينوا أن تذهب مآكلهم ورياستهم، فمن ثم غيروا. ثم قال تعالى: فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون قيل من المآكل. وقيل من المعاصي. وكرر الويل تغليظا لفعلهم.

قال الأستاذ الإمام محمد عبده: من شاء أن يرى نسخة مما كان عليه أولئك اليهود فلينظر فيما بين يديه، فإنه يراها واضحة جلية، يرى كتباً ألفت في عقائد الدين وأحكامه، حرفوا فيها مقاصده، وحولوها إلى ما يغر الناس ويمنيهم ويفسد عليهم دينهم، ويقولون هي من عند الله، وما هي من عند الله، وإنما هي صادةٌ عن النظر في كتاب الله والاهتداء به، ولا يعمل هذا إلا أحد رجلين: رجل مارق من الدين، يتعمد إفساده ويتوخى إضلال أهله، فيلبس الدين، ويظهر بمظهر أهل الصلاح، يخادع بذلك الناس ليقبلوا ما يكتب ويقول، ورجل يتحرى التأويل ويستنبط الحيل، ليسهل على الناس مخالفة الشريعة؛ ابتغاء المال والجاه. وهكذا نرى أننا أمام أمر مهم ألا وهو الافتراء كذبا والتقول بغير الحقيقة، فلنحذر جميعا من هذا الأمر، ولا يجب أبدا أن ندعي على الغير ما ليس فيهم، ولا نفتري على أحد من الناس.

ثم تأتي الآية الثانية في الذكر، «وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠)» وتؤكد هذا الافتراء، فهم يقولون بعد كل ذلك إن العذاب في النار لن يمسهم إلا أياما قليلة، ويرد الحق على هذا البهتان، «قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا» فإن كان ذلك وهو لم يكن ولن يكون، لأنَ الله لاَ يخلف عهده أبدا، وعهد الله عليهم هو الخلود في النار وبئس المصير، وقد كان عهدهم مع رسول الله الكذب ونقض العهود، وكم من مرة حاولوا قتله صلى الله عليه وسلم، وقصة الشاة التي وضعوا فيها السم لرسول الله معروفة، وقد ورد في تفسير القرطبي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله سألهم عن صحة هذا الأمر وما حملهم لعمل ذلك؟ فكان جوابهم أنهم أرادوا أن يختبروا أنه رسول الله، فإن كان كاذبا أصابه الأذى وان كان صادقا لم يصبه شيء، جواب فيه خداع وتهرب من الحقيقة، فهذا عهدهم دائما مع رسل الله، فكم أذوا رسل الله حتى وصل بهم الأمر إلى قتلهم، الدرس الذي نخلص به من هذه الآيات أن أهل الضلال والكذب على مر التاريخ لا يهدأ لهم بالا وأهل الحق الصدق بينهم، فهم دائما يتربصون لأهل الخير ويضمرون لهم العداء، حتى ولو أظهروا عكس ذلك، فما علينا الا أن نحذرهم، لأننا سوف نتعامل معهم، وهذه سنّة الحياة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعامل معهم، وعاهدهم، واشترى وباع منهم، وتكلم معهم وزارهم في بيتوهم، ولكنهم كان دائما يملأهم الغل والحقد والغيظ بما عرفوا من الحق، لأنهم كانوا يمنون أنفسهم بأن نبي آخر الزمان سوف يكون منهم، فخاب أملهم، فلا نملك إلا أن نقول لهم كما قال الحق «قل موتوا بغيظكم».

أسس استثمار الوقت

بقلم: د. محمد مرسي محمد مرسي

إن الاستفادة من الوقت تعني إنجاز عمل فيه. ولإنجاز العمل لابد من تشريحه لمعرفة إمكانية وكفاءة ذلك الإنجاز. للعمل أبعاد خمسة كإصبع يدك هي:

(١) ضرورته: فإن كان العمل ضرورياً فأشر به وأكمله وإلا فاطرحه.

(٢) أولويته: ليس كل ضروري له الأولوية خذ العمل الأهمّ ثم المهمّ.

(٣) الملاءمة بينك وبين العمل: يجب أن تتصدى لعمل يلائمك من حيث المعرفة والمهارة، فلا تبعثر وقتك فيما هو مستواك. ولا تتنازل إلى ما هو دون مستواك. دع غيرك يقوم بهذين العملين.

(٤) الكفاءة: لا تنغمس في عملك بأن تغمض بصيرتك. فالتوكل على الله تعالى لا يعني عدم التبصر «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» [يوسف: من الآية١٠٨]. ابحث عن أكفأ طريقة لإنجاز العمل ثم انغمس فيه. وبعد البحث لا يهم ان تتعرض لتجربة أنْ تصيب أو تخطأ.

(٥) مقدار الوقت المطلوب: كل عمل لابدّ له من وقت إن قصّرت فيه أصرفتَ عملَك، وإن طولته اهترأ عملك وسبقك السابقون.

إذا فأنت الآن مقتنع، إن شاء الله تعالى، بضرورة الاستثمار الأمثل لوقتك، فما هي أسس الاستثمار الأمثل للوقت؟

١- أفضل بداية وأفضل نهاية:

إن أفضل بداية هي أن تبدأ فعلاً.

(أما افضل نهاية فهي أن تفحص حصيلة يومك).

ثم قم بهذه التجربة البسيطة وهي أن تسجّل حصيلة يومك: كيف صرفت ساعات يومي؟ عدد ساعات النوم( )، في الطريق ( )، في العمل الحقيقي( )، في أحاديث جانبية( )، سرحان ( )، إلخ.

هل تعرف ما هي المعينات على التحكم بالوقت؟ إذن سجّلها وواظب عليها.

هل تعرف ما هي المعيقات للتحكم بالوقت؟ إذن سجّلها واعرض عنها.

ولا تكن مثل بعض المدخنين الذين يقولون نحن نعرف أن التدخين مضر، ولكننا لا نستطيع الإقلاع عنه. فهذا هو ضعف الإرادة.

٢- لا تنس أهمية الوقت.

إليك سؤالاً يستحق التفكير ومحاولة الإجابة عنه، فنحن نستغفر الله من أسئلة الترف الفكري. السؤال هو: ماذا كنت تفعل لو زيد في وقتك أو عمرك عشر ساعات ؟ ربما تقول : في الساعة الأولى سأستغفر ربي. في الساعة الثانية سأؤدي حقوق الآخرين. في الساعة الثالثة.. في الساعة العاشرة والأخيرة سأغرس شجرة قبل أن تقوم القيامة اتباعاً لقدوتي محمد- صلى الله عليه وسلم- هل كان هذا سؤالاً يستحق التفكير؟ نعم . ولكنه سهل.. هل تعلم أنك في مطلع كل يوم جديد تحصل على ٢٤ ساعة كاملة وبدون أن تتمناها وليس مجرد ١٠ ساعات اعتبرها أقصى أمانيك. إذن فاهرع واستفد من كل يوم جديد.

٣- استغل ذروة نشاطك.

للسنة فصول تتعاقب فيتعاقب فيها النشاط: فمثلاً الربيع وقت النشاط والشتاء وقت السبات. وكذلك يومك: فهناك السبات وهو بحسب التوقيت الشرعي يمتد بين العشاء والفجر. وهناك العمل الذي يدب مع إشراقة الشمس حتى يصل ذروته في الضحى . فكأن الضحى هو ربيع وقتك ثم ينحدر إلى راحة الظهيرة.

هل تريد أن تضاعف يومك فتحصل على ذروتين بدل الذروة الواحدة؟ خذ قيلولة. فكأنك بعدها تبدأ يوماً ثانياً ولّما زلت، في يومك.

٤- تقسيم الوقت.

إن الذي يعمل في وقت ليس مُقسّمًا قد يصبح لا مبالياً بالوقت وقد يهدر الكثير منه. عن الذي يريد أن يبني بيتاً لابد له أن يقطع الحجر ويأخذها صغاراً. وهكذا يفعل الذي يريد أن يأكل الطعام: يأخذه لقيمات. إذن لابد من تقسيم الوقت أجزاء لكي يصبح أسهل للتناول وأغزر بالعملً وأقل هدراً.

إن الآية الربّانية الجامعة المانعة بهذا الصدد هي «إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً»[النساء: ١٠٣] صحيح انها آية صلاة بطريقة مباشرة. انظر ماذا تفعل صلوات الفريضة الخمس بوقتك: إنها بدءاً تقسّمه لك. وهي بذلك تعفيك من الغفلة عن تقسيمه أو المعاناة في تقسيمه. وبعد ذلك انتبه إلى أنها تقسّمه لك تقسيماً رائعاً بحسب فترات نشاطك فتعطيك أطول فترة من الفجر إلى الظهر، وبعدها من الظهر إلى العصر، ومن العصر إلى المغرب، ثم من المغرب إلى العشاء. هكذا تتيح لك الصلاة استثمار وقتك وفقاً لشدة نشاطك اليومي. إنها الصلاة. وما أدراك ما الصلاة. فاشكر الذي أمرك «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى» [لبقرة: ٢٣٨]

٥- حذار من مضيعي وقتك:

يأخذ الإنسان غالباً موقف الدفاع لو قيل له لماذا تضيع وقتك؟ فيبادر بالقول: إنهم الآخرون يضيعون وقتي. من هم الآخرون؟ اعرفهم أولاً ولا تسمح لهم بإضاعة وقتك ثانياً؟ ولا تكن منهم ثالثاً.

الآخرون كثر، وهؤلاء بعضهم: الزوّار من أجل التسلية، المكالمات الهاتفية من دون حاجة، انتظار من لا يحترم مواعيده، اجتماعات مائعة، سهرات مجاملة، الخ.

٦- وأعدوا لهم ما استطعتم:

إن الذي يعدّ العدة لاستثمار الوقت لا يمكنه الاستفادة من ذلك الوقت وحسب بل يمكنه زيادة وقته. هل يمكن أن تزيد وقتك؟ حرفياً : كلا .. ولكن مجازياً: نعم، وذلك بزيادة العمل في الوقت المحدد.

انظر إلى أحد الأطفال وهو يلعب، ولْنقُلْ إنه يبني بيتاً من المكعبات. سترى أنه يحاول، ولكن كلما كانت لديه معلومات أو خطة أو خبرة كان أكفأ وأسرع . ولو تدخلت أنت لجعلته خبرتك أكفأ. إذن فالكفاءة مرتبطة بعاملين هما المعلومات ومساعدة الآخرين للعامل.

فما هي العدة لاستثمار الوقت؟ منها: اقرأ سريعاً.. استثمر أوقات الانتظار (بالقراءة مثلاً).. لا تكثر من الطعام لكي لا يلبسك الخمول.. قلل من نوم البطر... تحمّل الضغوط ودع التأوه منها للقوارير.. اتصل بالقدوات والناجحين واقتبس منهم... استعمل التقنيات الحديثة كالساعة المنبهة.. واستعمل من التقنيات الأكفأ كالفاكس بدلاً من التليفون.

٧- التوفيق الإلهي هو عمود الأعمدة:

مهما كانت الأعمدة لاستثمار الوقت من حيث نوعها أو عددها، فإن عمود الأعمدة هو التوفيق الرباني، وهو ما نطلق عليه أحياناً البركة في العمل أو الوقت . اقرأ هذه الآية:

«وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» [الشورى: ١٥] فستعلم ما هي الأبعاد الثلاثة للتوفيق الرباني.

هيا إليها

شعر: محبوبة هارون

ناديت هيا فإن الوقت قد حانا
والروح ملهوفة، والنفس في وله
هيا إليها أرى الأنوار تغمرني
يا أرض طيبة ضميني ومعذرة
لكن دمعي على ذنبي سيغسله
فالقلب يبكي على ذنب يعذبه
والخوف داري، فطيف الذنب يخنقني
نعوذ بالله من ذنب يحملنا
يا رب وامنن على روح يؤرقها
تشقى كحال الذي قد ضل سعيهم
يا رب بدل بعفو كل ما اكتسبت
يا أهل طيبة يا أنصار أحمدنا
حفظتم العهد، شح النفس خاصمكم
من يوق شحا لنفس طاب موئلة
يا من نصرتم وآويتم بلا وجل
حبي إليكم يفوق الحب، يسبقه
فصرت أعلم كل الكون، أسأله
يا رب حبي لهم أرجوه مدخرا
أنصار طه لهم في السبق منزلة
فامنن الهي على قلب تهون له
يرجو الشفاعة والأمال تسبقه
يا مسجد المصطفى يا روضة حملت
بشراك رغم الطوى يغتال غرتنا
صرنا غثاء، وغطى جسم أمتنا
فالقدس تشكو جراحا، من يضمدها
لكن فجرا يلوح اليوم من عتم
هذي ليبوث بأرض القدس قد وثبت
تقدم الروح والأنفاس راضية
أمامهم ينحني كل الورى خجلا
هم الشموخ بهم نشتم عزتنا
فانظر «أبا العبد» ثم انظر «لرائدنا»
محاصرون وهذا الكون في غضب
فراح يدعو على الإخوان يسألهم
كيف التخلي عن الأخلاق ما فتئت
فاغفر لنا ربنا قيدا يعذبنا
والوجد فاض وصار الشوق بركانا
والقلب من وجده تلقاه ظمآنا
والصب في بعده قد بات حيرانا
ما كنت أرقى، فذنبي كان ألوانا
هذا رجائي يظل الدمع برهانا
يقول رباه عشت الحزن طوفانا
أقام حولي من الأهوال بنيانا
يوم القيامة إذلالا وخسرانا
بعدا تلاقي وتحقيرا ونسيانا
فمن يقيم لهم وزنا وميزانا؟!
نفسي فترقى، يكون اللوح مزدانا
من ذاب فيكم يكون البرّ عنوانا
هزمتوه فجاء البشر قرآنا
يجد فلاحا وإنصافا وإحسانا
يا أفضل الخلق رهبانا وفرسانا
والسر في حبكم قد فاق إعلانا
هل يطفئ الحب يوم الفصل نيرانا؟!
أرجوه يوم اللقا روحا وريحانا
شتان ما بينها والناس شتانا
كل الحياة، وحب القوم ما هانا
للحوض يدنو، يكون الحب قربانا
لنا نسيم الهدى ظلا وأفنانا
من دمعهم نرتوي، من دمع أقصانا
ثوب المهانة تسليما وإذعانا
تبكي صلاحا مضى، تبكي الذي كانا
ليفضح الغث خوانا وسجانا
تحطم القيد أوهاما وقضبانا
تصد قهرا عن الأقصى وعدوانا
لم يطلبوا للعلا جاها وسلطانا
بهم صحاري المنى تختال بستانا
قد خاصم النوم للأحرار أجفانا
لم يشهد الكون للأبطال إخوانا
أين التآخي؟! فحال العُرب أعيانا
تبكي الأخوة، تبغي اليوم إنسانا
واشدد على من بغى في الأرض أو خانا

مـــاليـــف.. رأيت الموت!-٧/٣

تجارة مع الله

بقلم: رجاء يوسف لوري

أبحرنا إلى الجزيرة التالية الأقرب «فلنغلي» أو «ولنغلي» كما يدعونها، ومعلومة لمن لم يزر جزر المالديف فإن كل جزيرة عليها فندق واحد تملكه شركته وتديره.

«وشعب طيب جدا»

ويقال إن مالديف هي أجمل بقعة للغوص في العالم.

وإذا أردت أن تعرف مساحة فلنغلي فإنها استغرقتنا ٢٠ دقيقة درنا حولها مشيا على الأقدام.

لم تر عيناي في حياتي بحرا بذلك اللون التركوازي الصافي، والرمال الناعمة كطحين الدقيق، نخيل جوز الهند، وجذعه الأملس الأبيض المائل أو النائم حتى يكاد يلامس شاطئ البحر ورماله.. ثم يرتفع لأعلى السماء بثماره الكبيرة المتدلية.

أما الأسماك الملونة فعليك أن تتخيل ما شئت من الألوان والأنواع.. لوحات فنية، ومظاهرة بديعة تهتف بصمت: (لا إله إلا الله)

التركواز، والبنفسجي، الأزرق البراق.. المنقط والمرقط، المخطط أفقيا، والمقلم طوليا كوحشي الزيبرا.

«تستطيع التدبر في إبداع الخالق تبارك وتعالى وتتمتع بمشاهدة . عالم البحار. في القنوات الوثائقية».

الله تبارك وتعالى يقول في سورة آل عمران:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

«ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير (١٨٩) إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحنك فقنا عذاب النار (١٩١) ربنآ إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار (١٩٢) ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرعنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (١٩٣) ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (١٩٤) فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض... (١٩٥)».

لآيات: لأدلة على قدرة الله تعالى وصدق رسوله عليه الصلاة والسلام.

لأولي الألباب: لأصحاب العقول.

باطلا : عبثا عاريا عن الحكمة.

فقنا عذاب النار: فاحفظنا من عذابها.

أخزيته: فضحته، أو أهنته، أو أهلكته.

مناديا: الرسول أو القرآن أو العقل.

ذنوبنا: الكبائر.

كفر عنا سيئاتنا: أزل عنا صغائر ذنوبنا.

على رسلك: على لسان رسلك.

ولا تخزنا: لا تهنا ولا تفضحنا.

فاستجاب: دعاءهم.

بعضكم من بعض: الذكور من الإناث والإناث من الذكور.

فترى العجب لأسماك إل «ري . Ray» طبق الأصل لطائرة الشبح ، بل في الحقيقة أن الإنسان هو الذي استوحى واستنسخ هيكلها من تلك السمكة «مع أن الدكتور مصطفى محمود رحمه الله تعالى يشبهها بالخفاش» ولها جناحان تحركهما لأعلى وأسفل كما الطائر، وأسماك زعانفها كريش الطائر، والأسماك الهيكلية تسبح كالهياكل!

وسمكة الببغاء وألوانها البديعة ورأسها فعلا كالببغاء، وسمكة المنشار وكأنها تحمل منشارا طويلا في فمها، وسمكة الحصان والأسد والفيل، والأخطبوط، والسلاحف، والسرطانات، والمرجان بأنواعه.. وغيره وغيره.. عالم من الإبداع الرباني يعج بأمم لا حصر لها ولا عدد.

يقول تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. «وما من دآبة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (٣٨)» سورة الأنعام.

فرطنا: أغفلنا وتركنا.

أما الأسماك الذهبية الصغيرة التي نشتريها نحن بالفلوس، فهي في كل مكان وبأحجام كبيرة..

«والمن ببيزة!»

.. يتبع..

حديث القلب

القمة الاقتصادية

لماذا لا تنعقد هذه القمة سنويا؟

نحن بحاجة ماسة إلى انعقاد هذه القمة سنويا لأن الطريقة المعتادة حاليا في انعقادها لا يمكن الاعتماد عليها في تحصيل نتائج مرجوة للمواطن العربي قياسا بقمم الاتحاد الأوروبي وقمم الآسيان التي تنعقد سنويا وربما أقل من سنة إذا ما اقتضت الضرورة أن تنعقد..

كمسؤولية مشتركة بين صانعي القرار في الدول العربية ومن بيدهم مقاليد الحكم، فان معاناة المواطن العربي في تحسين مستوى المعيشة لا حدود لها، ورفع معدلات محو الأمية لاغنى عنها ، وتقليص حجم البطالة مازال أملا، وتوفير فرص عمل مناسبة أصبح حلما..

كثيرة هي العوائق التي تواجه بلدان الوطن العربي، ولاسيما عدم الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا في تطوير مناخ الاستثمار، وحماية الصناعات الناشئة، وقصور التمويل الحكومي، أو الدعم النقدي، وضعف البنية التحتية، وزيادة الرسوم الجمركية، وقلة التصدير، وعدم وجود مناطق صناعية، أو مناطق حرة، أو مشاكل في التدريب والتأهيل، وغياب الترابط والتنسيق بين القطاعات المختلفة، أو زيادة في حجم التلوث البيئي..

عطفا على ذلك، إذا بذلت كل دولة على حدة عددا من مشاريع التنمية دون تكامل بينها وبين شقيقاتها من الدول العربية الأكثر نموا ، فان الناتج القومي الإجمالي لمعظم البلدان العربية النامية دون هذا التكامل لا تجعل المواطن العربي يشعر بما بذلته الدولة التي ينتمي إليها من تحسين في مستويات المعيشة، أو يقف قريبا من المشروعات الإنتاجية المستهدفة..

لكي تكون الأهداف المقررة للقمتين السابقتين قد حققت التزاماتها على الوجه الأكمل لقمة الرياض ٢٠١٣ ،علينا أن نشير إلى ثلاثة من أسباب ضعف العلاقات الاقتصادية بين الدول العربية حيث تناولها الدكتور «خليل الجاسم» في بحث من ١٣ صفحة تم نشره في العدد١١ من مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية في العناوين الاتية:

(١) عدم الربط بين التكامل الاقتصادي والعلاقات السياسية

(٢) الاعتبارات الطائفية، وانتشار التخلف الاقتصادي والاجتماعي.

(٣) النفوذ والمصالح الأجنبية.

صحيح أن الكويت كانت هي البادئة في مؤتمر ٢٠٠٩ بمبادرة إنسانية كريمة لإنشاء صندوق دعم مشاريع القطاع الخاص الصغيرة والمتوسطة في الوطن العربي، وقد ساهمت فيه حتى الآن ١٥ دولة عربية فقط بما يعادل ١٢٠٠ مليون من أصل مليارى دولار، ومع ذلك فان ثمرات هذا المشروع لم تحرز أفضل معدل يتوقع تحقيقه..

يبدو أن كلتا القمتين السابقتين في الكويت وشرم الشيخ قد واجهتا نفس العوائق التي حالت دون الاندماج في تطوير العمل العربي المشترك، بما يخدم المواطن العربي في الكثير من المجالات المختلفة ، لكن الأهم من هاتين القمتين ما دعا إليه «خادم الحرمين الشريفين» في القمة الثالثة بالرياض لتوفير ١٠ مليارات دولار عن طريق زيادة رؤوس أموال المؤسسات المالية العربية بنسبة لا تقل عن ٥٠ ٪ من أجل دعم الاقتصاد العربي، وتعزيز الشراكة بين القطاع العام والخاص..

لست متشائما، ولا محبطا ، ولا أدعو للإحباط أو التشاؤم، ولكن أتمنى أن تكون القمة سنوية على الأقل، وأن يكون الهدف المتوخى من البيان الختامي للقمة في الرياض أكثر طموحا من قمتي الكويت وشرم الشيخ، وأن تتحقق حدوده الدنيا في أرض العروبة والإسلام من المحيط إلى الخليج، قبل مجيء قمتي تونس ٢٠١٥ ، ولبنان ٢٠١٧.

حامد عزت الصياد